



## أسرار النفس

تأليف الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

للدكتور زكي المحامسي

أحب أن أعرب عن خواطري في تأليف الفلسفة الحديثة . فإن كثيرا من كتبها التي صدرت في السنوات الأخيرة كان مترجما إلى العربية من اللغات الغربية ، أو مقتبسا أو مصنوعا للطلاب يتدارسونه في معاهد . ولم أجد سوى القليل من كتب الفلسفة يعتمدها الصحيح الذي يكون دراسة للفكر والشعور ، وفيضا للتأمل ، أو حكما على المجتمع ، وتجربة ذاتية للمؤلف .

من هذا القليل المنشور كتاب « أسرار النفس » للدكتور أحمد فؤاد الأهواني . ولقد شعرت وأنا أقرأ هذا الكتاب أنني أعيش في عالم فلسفي مع الفلاسفة ، فرحت أجول في صفحاته وآرائه بنظري وعقلي . وكانت نفسي تنجلى كلما مضيت شوطا في القراءة والتأمل . فإجمل أن نقرأ صور العقول مرسومة على الصفحات يخاطبنا أصعابها بسديد من آرائهم ، ويزجون لنا بمنظر من نفوسهم

كتب الدكتور الأهواني كتابه هذا بروح فلسفية مجربة . فليس هذا الأمر مدرسيا صنمه من أجل طلابه وتلاميذه ، وإنما جملة مرآة يستطيع كل مفكر أن يرى فيها نفسه ، وأن يتلمس عندها حسه . إنه يجارِب بيكولوجية ، وتأملات فلسفية صافية في الكون والفساد ، والحياة والشاعر ، وفي وصف الأحاسيس ، والتشريح الروحي

مضيت فيه شوطا استكشفت معاني لمسى وشئى ، وأسبر أعماق ذوق وسمي ، لأجد عوالم لانتهى . ومن حظنا - مع قناتنا على الأرض - أن نمرح قليلا في تفهم كوننا الذاتى ، ومعرفة أنفسنا ؛ لنطو على طبقة الحيوان الأحمم . وجميل بالفيلسوف البصير

أن يدانا على نفوسنا دلالة محكمة ، ويغضى بنا وهو حامل مصباحه الوقاد ليبدد لنا في ظلمات نفوسنا أعوارها الدامسة

ما تقدره الدكتور الأهواني على ربطه بالذوق بالشعور ، وما أجود فلسفته التي ركبها على محور نصبه بين الأذن والعين . العين هذا الإبداع الإلهي الذي تجلس من حوالبه كل عدسات المناظير وهي حيرى في تكويبه ، حسرى عاجزة عن مجاراته . كذلك كان المؤلف الحكيم يربط بين خلجات الأنفس ومشاعر الوجود ، داخلة إلى دنيانا الروحية من مسالك السمع وشقوق النظر . وحين تبحر في تفصيل الذوق ذكرنى بقولة قالها فولتير وهي : « أستأذك ذوقك » وقد تناول في هذا الفصل ذوق اللسان وأذواق الأرواح ومن ههنا نتججه فلسفة هذا المفكر الأديب انجماها اجتماعيا ينساب إلى أذواق الأرواح في طعامهم ومعايشهم . وهل كان أجدي على الناس من البحوث التي تتناول روح الجماعات في ذوقها وحسها . وحين فرغ من بابه الذي سماه : « على الدرب » استطلعت أن أعرف منهجه في التأليف . فهو يطرح الموضوع طرحا ، ثم يطرقة من أطراف شتى ليستنتج منه حقائق في البشر والوجود ، يصوغ منها عظمات بالنات ، ثم يطبق آخر الأمر أحكامه على بلده وقومه فينتقد ويوجه أو يفتد . فهو بذلك مفلسف أو مصلف وأداني أنظر في فصول بكتابه لها لون آخر ، ولاسيما الفصل الذي فيه انتقل الفكر من إنسان إلى آخر . وهذا هاجس يعجبني ، فقد جريت أن أنقل ما يدور برأسي إلى أناس معي ، فكنت أسبب قليلا وأنتثر في الخطأ كثيرا . وقتت مرة على جزاء في دمشق فرأيت النوم الدكتور سلون يشتري لحما . وكان ميلان من مرض ، وأعصابه مكسودة . فلم أشأ أن أمازحه بشئ من التأثير الفكري فإكدت أفت قريبا منه دون أن يراني حتى التفت إلى وقال :

— لا تشفق على فإنى أستعيد قدرتى على قراءة الأفكار . وقد عرفتك الساعة تفكر في إهدام نال أعصابى فتزهد في مزاحك

وخرج الدكتور الأهواني من انتقال الأفكار إلى الشعر الذي يعرفه العامة في مصر ، فساق شواهد من شعر الأقدمين مسحوبة إلى عصر المحدثين ، ثم أجال الطرف في شعجون الروح وشؤونها ، وانتقالها وتعبيرها ، حتى أوشك أن يحطنا حول مائدة

الذي لا مثيل له في الوجود . فإذا حللنا بحير وودنا لو كان حقا ،  
وإذا رأينا في المنام شرورا فزءنا إلى اليقظة فحمدناها أن لم تكن  
الشرور جامعة في الحقيقة

تلك أسرار نفوسنا . فن بدانا عليها ؟ لقد صنع جميل المؤلف  
الأهواى في أن يمرقتا بأفئنا ، ويتوص بنا على أسرارها الرهيفة ،  
فكان كتابه أحد ذخائر العصر في علم النفس الحديث . سأقول  
له حين انقاه :

— لقد أدخلتنا إلى بيوت أنفسنا . وفي نفوسنا مجال لمنظر  
لا ينتهى التطلع إليه مدى الحياة ...

فإذا بدأت كلامي على إثاري لفلسفة التجريب أحببت لخواتم  
المؤلف في كتابه حين ورد كلامه على المداوة والمردة فلم يقع في  
نقص القادرين على التمام ؛ وأعان ببراءته على ردتنا إلى نفوسنا —  
وقد تركناها — وكان له أسلوب الحديث المتبسط ، وقلم الكاتب  
المتنسل . وحين انتهيت من قراءة كتابه ذكرت من أجله معجزة  
القرآن الكريم في آيته النفيسة التي يقول فيها : « وفي أنفسكم  
أفلا تبصرون »

زكي المحاسنى

القاهرة

## الهوامل والشوامل

### لأبي حيان التوحيدى

تتميم الدكتور أحمد أمين بك والأستاذ السيد صف

من الشخصيات التي أضفت إلى تراثنا الأدبى والفكرى  
ثروة يمتزجها تاريخنا الأدبى والفكرى — أبو حيان التوحيدى —  
فقد رزقت هذه الشخصية من القدرة على الأداء الفنى الجليل .  
والتحليل النفسى العميق وإبداع ، آيات فنية لا تزال ترف نصارة  
على تقابع المصور . لقد وثب فن الأسلوب على يدى —  
التوحيدى — وثبة لم يستطعها غيره من كتاب التراث الفنى القديم ،  
وبان أسلوبه من الصفاء والعمق ما يمكن له من أن يحتمل الذروة  
بين أصحاب الأساليب .

ولكن هذه المبقرية قد قست عليها الأقدار فاستهدف  
ساحبها في حياته لألوان قاسية من اللبلاء الذى أصابه في رزقه

خشبية تقفر الروح عليها فقرات هى رموزها النبوية . ثم أزم بحبه  
هذا مبهم بقده فشق به شموذة الشموذين ، ركذب الدجالين .  
وجره هذا البحث الأسطورى إلى بحث آخر هو أعلن بالحياة  
وأحل ، هو الاتصال الروحى وتديما قيل : « بين الروح والروح  
سبيل »

قلت في مستهل الكلام إن الدكتور الأهواى فيلسوف  
مغرب . ففى كتابه كثير من الشواهد التجريبية . وكان خير  
المتفلسفة أهل التجارب . . . وفى كل إنسان مقدرة على هذا  
الاتصال الروحى تبدر فيه قوة أو ضئيفة . ويموزها الصفاء ، فكما  
صفت خواطرتنا ، ورقت نفوسنا ؛ انصلنا بأرواحنا ، وهذا بفضنا  
إلى بعض ولو كان بيننا ضيق السدود . ولقد سمعت بعض الصوفيين  
يمزى في الحب نفسه ويقول :

— إن لأعشقها من غير أن تعلم بى

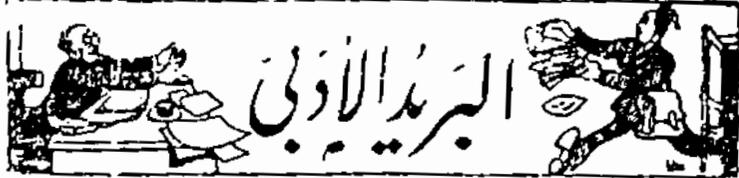
ثم سدد بطارفه شطر الأفق وقال :

— لا أطمع بوصول ، حتى الزوال

كنت عصارى يوم فى القاهرة منذ ثلاث سنين ، مز منامن  
الغداة عودة إلى دمشق ، وبى شوق ولهفة إلى رؤية صديق .  
فقلت لا بد من ذلك قبل السفر . وانطلقت لأبحث عنه فى الدروب  
وإذا بى انقاه فى غير مشقة بناسية « عماد الدين » فابتدرنى  
بقوله .

— والله خشيت سفرك دون أن أراك ، فأما الساعة  
أبحث عنك

وبأبى على فيلسوفنا المؤلف طبعه فلا يفوت على قرائه ولا على  
نفسه بحثا هو اليوم من أطرف بحوث الفلسفة النفسية المعاصرة ؛  
ذلك كلامه على الأحلام . وكنت أرت أن يتفرع هذا الصديق إلى  
كتاب بمنفاه فى قضية الأحلام عند المسلمين والمفسرين كابن سيرين  
وأخرايه . وكيف تطورت الأحلام فى الفلسفة الحديثة حتى سارت  
من أروع البحوث فى التحليل النفسى عند الفلاسفة الفروبيديين  
ومنذا الذى خلا ليله من حلم . إننا لمرقدججيا مثل الأطفال ،  
وحين يحيطر علينا الكرى بسحره الأزلى ويطرحتنا فى المضاجع  
هناك ترف على جفوننا رؤى لا حد لها . رؤى زاهية التلون ،  
أسطورية التكوين ، منحوجة من خيوط جنية . ونستفيق بثمة  
فلاتنم لها سببا . نر من أبدنا بمباهها ونعيمها وجمالها الإلهى



ولا أمنا ، فأنى لها أن تحمن الظن ؟ أنى ؟  
وتمرض الأستاذ الفاضل الشيخ عبدالمتعال الصميدى فى المدر رقم  
(٩٣٦) من الرسالة الفراء للكتيب - أوبعبارة أدق لعنوانه -

بالنقد : وكان كل ما أخذ على الكاتب أنه لم يكن موقفا  
فى اختيار كلمة ( رعايا ) لأن المعنى الذى سبقت إليه فى الكتيب  
هو الذلة والعبودية ، وهذا يخالف معناها فى كتب اللغة والحديث  
والذى وقع فيه حضرة الناقد ، عين ما أراد المؤلف نفسه على أن  
تتخاص منه ، وتفر عنه ...

لم يبحث الأستاذ الناقد عن معنى الكلمة فى قاموس المجتمع  
الذى يلفظ أنفاسه ، تحت ادعاءات الحياط ، وركلات الأقدام ،  
ولا فى هذه الرق. تشدها إلى بعضها مسكنة تستلم سريرا  
لموامل الفناء ، فوق أجماد عجاف

ولابن هذه الأكوام الآدمية التى تحظى دائما بامتداد الفرس  
الزئيرة على جوانب الشوارع ، حشوها ( الزايط والأسمت والقار )  
وتسمد دائما بالنجاف الطبقات الرفيقة الرفيقة من نسائم الليل ،  
تداعب أوصالا تداعى فى الخفاف إلى الانحلال والفرقة

لم يبحث الأستاذ الفاضل عن معنى تلك الكلمة بين ذلك

مرآة تمكس أمام أنظارنا التيارات التى كانت تحود هذه البيئة .  
والكتاب بعد وثيقة تاريخية إذ هو يصور لنا مرحلة من مراحل  
تفكيرنا الأدبى والعلمى . وهو آية من آيات النثر الفنى من حيث  
الأداء والتصوير . وللاستاذ - أحمد أمين بك - حسنة لا تجحد  
بنهضة الميدان للأستاذ - السيد صقر - وإساح الطريق أمامه  
ليتمكن من أن يستغل مواهبه وثقافته فى هذا الميدان الذى  
شب وزرع مرعاه ؛ ممترًا بالسير فيه . فكنت تراه وهو لا يزال  
فى مطالع بواكير حياته الأدبية بمكف فى - دار الكتب -  
الساعات الطوال بين المخطوطات القديمة يقرأ : وينقل ؛  
ويستوعب ؛ وكانت الثمرة الأولى لهذا الجهود - تحقيق - ديوان  
علقمة الفحل - والأمل وطيد فى انتظار الآثار التى يقدمها هذا  
الجندى فى ميدان يشفق الكثيرون من اقتحامه ، وهو ميدان  
نشر تراثنا نشرًا علميا دقيقا

محمد عبير الحلیم أبو زبير

دبلوم فى التربية وعلم النفس

الرعايا هم العبيد :

أصدر الأستاذ خالد محمد خالد كتيبه الثانى (مواطنون لرعايا)  
والكتيب - كما يتضح من عنوانه - إحدى صرخات الأستاذ فى  
سبيل تصحيح الأوضاع الاجتماعية فى هذا البلد

وكان طبيعيا أن يستقر هذا الكتيب فى كل يد ، وأن تلهم  
سطوره كل عين ، وكان طبيعيا أيضا أن تلقفه أبهى الأفاضل من  
علماء الأزهر ، ولا عجب ، فالأمر أمس بهم وأدى إليهم ، فالؤايف  
عالم آثر الاطلاق والتجديد ، على التقييد والتقليد ، وأباح لقله  
وفكره أن يتطاف من إسطار التون والشروح ، والموامش والحوامش ،  
إلى فضاء المجتمع المريض ، فمينه تقع على كل دقيقة فيه ، يرى  
بعض الناس كل الناس ، ومن بق هملا ، قطعانا نسمى إلى ساقط  
لميش ، وترقل إلى دنى الرزق ، وما هى بالثمة منه بطنا ، ولا قريرة  
به عينا ، بل ساعة لاغية ، واجفة خائفة ، لا ترى فيها حولها هدوما

فى مكانته ، ولاحق ترائه بمد أن خلا وجه الحياة منه فأحال  
بينه وبين الحياة . وظل هذا التراث يمانى مرارة الإهمال ؛ وظلم  
لتشويه هذا الأمد الطويل ؛ فإذا ما رزق - أبو حيان - من  
نقد آثاره ؛ وبخلصها من بطش الظلم ؛ وبرائن الموت ، وينفض  
نهارها غبار القبر ، فقد رد للحياة الجانب الخالد من شخصية الرجل  
لمبقرى . وكانت يد لادكتور - أحمد أمين بك - فى موضعه  
نشر آثاره ، والمناية بإصلاح ما أفسده الدهر من كيانها ، وشوه  
من ممالها ، حتى شق على النظر إدراكها . وما أشقها من مهمة  
يدرك ما فيها من صعوبة ، وما تتطلبه من جهد لا يقوى على  
عمل أعبائه إلا من كان ذا عزيمة لا تهى ؛ وثقافة أدبية ؛ لغوية  
اسمة عميقة . وليس هذا مما يتأنى للكثير . وكتاب - الموامل  
الشوامل - أثر من آثار - التوحيدى - الناضجة الحية .  
هو يدر على كثير من الأفكار التى كانت سدى ولحمة النسيج  
لتفكرى والأدبى ، فى بيئة - التوحيدى - وعصره .  
قد أخذ - التوحيدى - يمرض هذه المشاكل الأدبية  
الفكرية ويحجب عليها - مسكوبة - فالكتاب من هذه الناحية